Journal of letters and Social Sciences (JLSS) مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

مفارقات التحليل الثقافي للشعر قراءة في كتب «النقد الثقافي» و«الشعرية والثقافة» و«أبواب القصيدة»

Paradoxes of Cultural Analysis of Poetry A reading of the books

"Cultural Criticism", "Poetics and Culture", and "The Gates of the Poem"

الطاهر مرابعي[1]
Tahar Merabai
مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر
ta.merabai@univ-setif2.dz

أ.د. محمد عبد البشير مسالتي
Pr. Mouhamed Abd al-Bashir Messalti
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر
m.messalti@univ-setif2.dz

ملخص

تحاول هذه الدراسة الإحاطة بإشكالات تطبيقات الدراسات ذات الصبغة الثقافية بمفهومها العام، من حيث هي بحث في تركيبة النصّ الثقافية، تستجلي أنماط التمثّل للمفاهيم النظرية، وتحدّد المساحات المشتركة في الفعل النقدي الثقافي، بما هو مقاربة دلالية مفاهيمية وإن في النص الجماليّ، وعلى أساس هذه الأرضية، تمّ فحص ثلاثة مؤلّفات نقدية معروفة، الأوّل هو كتاب النقد الثقافي، والثاني هو كتاب الشعرية والثقافة، والثالث هو كتاب أبواب القصيدة، حيث سعت المتابعة إلى استكناه جوهر العملية النقدية ومرامها في كل كتاب على حدة، انطلاقا من أدوات ومرجعيات كل واحد. يصبو هذا البحث إلى الوصول للمشترك الثقافي في عيّنات الدراسات الثلاث، بما هي ذات منطلق أساسٍ، محوره المقاربة الثقافية، وفي جانب آخر، سعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفارقات الفعل النقدي من حيث هي تنوّع في طرائق التلقي بناء على تنوّع مرجعيات وأسس كل كتاب، إلى جانب خصوصية غايته البحثية، التي تشكّل هوية بحثية لابدّ منها، في مسعى تجنّب التكرار ومسعى تسليط الضوء على القضايا الخافتة والمغيّبة. تجد هذه الدراسة في مصطلح «استراتيجية» ما يشفع لتبرير حجم البون الشاسع الذي يفصل بين طريقة كتاب وآخر في نقد الشعر، حيث لا يكون على النقاد التقيّد بضوابط إجرائية صارمة، على غرار تلك المعروفة في الدراسات التي تستند إلى مناهج تملك آليات صريحة لا يمكن القفز عليها، لذلك تستثمر في هذا المعطى إلى أبعد حدّ، وتجد في ثراء مرجعيات عيّنات الدراسة ما يؤكد ذلك.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 17-07-2025
تاريخ القبول 01-10-2025

الكلمات المفتاحية
التحليل الثقافي
الدراسات الثقافية
النقد الثقافي
النسق المضمر
الشعر

مقدمة

يطرح هذا المقال النظريّ التطبيقيّ إشكالية مفارقات المقاربة النقدية الثقافية للنصّ الشعري، بوصفها إنتاجا فكريا أدبيا، يتوسّم «الثقافة» أساسًا لاستنطاق مقول النصّ الإبداعيّ، ويفترض بأن مرجعية محاورة أيّ نصّ، متقاربة، أو هي بأقلّ قدر من فجوات التفاوت والمفارقة الصانعة للاستثناء أو الاختلاف الحادّ، وعليه، فإنه في الإمكان الاحتماء بمشروعية العنوان الشامل لتوجّهات تحليل النصّ الإبداعيّ، وحتى غير الإبداعيّ ضمن ما يصطلح عليه بـ«النقد ما بعد الكولونيالي»، وأحيانا «النقد الكولونيالي»، على السواء.

ويمكن استشراف إشكالية هذا المقال بمجموعة من الأسئلة، يتناسل بعضها عن بعض، كمال يلي:

هل تطرح المقاربة الثقافية للشعر مشكلة نظرية أم تطرح إشكالية تطبيقية؟ وفي حال كانت تطرح إشكالية تطبيقية فقط -على فرض الوحدة النظرية أو التقارب المفاهيميّ النظريّ- هل يمكن لمجالات القراءات التطبيقية أن تحقق

1 المؤلف المراسل

التوافق تحت مظلة رؤية واحدة يُجمع الدارسون فيها حول منطور الدراسة؟

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن هذه الأسئلة، في حدود قيود إشكالاتها، استنادا إلى قراءات في ثلاثة كتب مائزة، تعطي صورة واضحة عن جوانب من التفاوت، يأتي تقدير حجمها ومضمونها (جوانب التفاوت) تحت عنوان هذا المقال، هي كتاب «النقد الثقافي» لعبد الله الغذامي، وكتاب «الشعرية والثقافة» لحسن البنا عزالدين، وكتاب «أبواب القصيدة» لسعد البازعي.

1–ثلاث قراءات ثقافية متباينة

* صدر كتاب «النقد الثقافي» لعبد الله الغذامي قبل سنوات طويلة، ومن العنوان، يتضح بأن الناقد حدّد توجّهه في مقاربته ضمن المنظور الثقافي، وفي ثنايا الكتاب نطّلع على وعدٍ بفتح آفاق دراسةٍ جديدة، تسدل الستار على عهد عريقٍ، هو عهد النقد الأدبي (عبد الله الغذامي، 2001)، والقارئ للكتاب ينتبه إلى أن الغذامي وسّع من مجال اهتمام النقد عندما أدخل الكثير من أشكال التعبير التي لم يلتفت إليها دارسو الأدب في عهوده السابقة، حيث ضمّ الصورة بمختلف أشكالها، بما فيها السينمائية ضمن اهتمامات المقاربة الثقافية، فضلا عن إسقاط لفظة «أدب» من معجم المقاربة، وبذلك، تشمل الدراسة أشكالا ليست منه.

مضى الغذامي في تسقيف أفق الدراسات إلى مستوى «المضمر» في النص بمفهومه الجديد الذي يتواءم مع مفهوم الخطاب (حسين القاصد، 2021)، ومن أجل هذا التأسيس، اشتغل على هدم الجماليّ البلاغيّ، بوصفه مكوّنا مضلّلا، يعطي الشرعية لمضمر نسقيّ خبيث هادم للقيم الإنسانية والمفاهيم السَّوِية العملية التي ينبغي أن يصبوا إليها أيّ نصّ يرغب في أن لا يكون غاويا، ضالاّ، ضلال الشعراء الغاوين، وبهذه الطريقة، وبمعجم اصطلاحيّ كبير، فيه تجديد ورؤية مبتكرة، شرع الغذامي في التأسيس للنقد الثقافي بمرجعيات مزدوجة، بعضها يتوافق مع المضمون الإسلامي، وكثيرها من معين النقد الغربي، خاصة عند فنسنت ليتش وبودريار وكلنر (عبد الله الغذامي، 2001).

* أما كتاب «الشعرية والثقافة» لحسن البنا عزالدين، فهو جهد نقديّ معرفيّ اتكأ إلى التراث، وحاول عبر جملة من الشواهد استنطاق مفهوم الوعي الكتابيّ في الأشعار، مستندا إلى معطيات تاريخية تعكس تبلور مفهومها بوصفه سلوك تدوين وتسجيل ماديّ فعليّ أو وهميّ تخييليّ للأثر، في الورق أو على أية مادة أخرى، وفي الواجهات المفتوحة كالصخر، وفي تشكّلات فنية تتماهى مع عناصر الطبيعة، ويصحّ فيها التقدير.

لا يتوقف الناقد في حدود الشواهد التي استنطق بها «الوعي الكتابيّ» عند مجرّد ذكر كلمة «كتابةٍ» أو «حرفٍ»، وإنما تجاوز هذه الظاهرة الشكلية في عملية التدوين إلى مستوى نبوغ الوعي بالفعل، وإن كتصرّف يعكس العناية بفعل الكتابة في حدّ ذاته، وعلى هذا الأساس، تدرّجت الشواهد بين الإشارات العابرة لفعل التدوين، إلى ترسيخه كقراءة وانغماس ثقافيّ، تغرق الذات عبره في تمثّل نحت الحرف أو كيفية تخلّقه أو وصف تشكّل رسومه.

اشتغل حسن البنا عزالدين عبر منجزه على مركز الفعل الثقافي بمفاهيمه التقليدية، القائمة على ثنائية القراءة والكتابة، لذلك استند إلى عدد من الأسس النظرية، على رأسها تفكيكية جاك ديردا ومفاهيمه حول الأثر، إلى جانب تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov وروومان ياكوبسون Roman Jacobson، وغيرهما، ممن شكّلوا الطليعة في التنظير للشعرية، وكان الناقد في كل صفحات الكتاب، كمن يقف وهو يشير إلى ناحية الثقافة العربية، في هيئة استعارية، وهو يقول «هذه أمة تعرف الكتابة ولها حسّ عميق بفعلها ووعي بدورها، وهي إذ تكتب، فإنها تقرأ حتى في مهادها، بأشكال القراءة المختلفة، المعبّرة عن الحضور في التاريخ والحضارة».

* اتجه سعد البازعي في كتاب «أبواب القصيدة» إلى ناحية المقاربة الثقافية (الزبير عبد الله الأنصاري، 2024)، بكثير من الاستقلالية، حتى إنه لم يهمّش للمراجع والمصادر في صفحاته، واكتفى برصيد المعلومات المنسوبة إلى أصحابها في المتن، وشواهد القصائد التي أخضع عيّناتها للتحليل، وتناول الكتاب عددا من القصائد، دون أن يتجاوز التركيبة الجماليّة في النصّ، بل جعلها صميم غايته، لكن بزاوية رؤية مختلفة، تشفع لها فكرة الغوص في تكوين الثقافة بوصف هذا المنطلق توجّهًا في النقدية الغربية الحديثة (سعد البازعي، 2004)، وعلى هذا الاعتبار، يتصوّر البازعيّ الجماليات بحثا عن الجميل فيما ليس جميلا وتجاوز ما كان محطّ توافق ذوقيّ، وبهذه الصورة فإن حالات الضجر والمعاناة والخيبة والعزلة (سعد البازعي، 2004) هي موضع الدهشة الجمالية في الشعر.

تجلّت ملامح القراءة الثقافية في كتاب البازعي من خلال

استنطاق التقاطعات النصية فيما يسمى تناصًّا، مع القصائد المشهورة، بما فيها قصائد العصر الجاهلي التي حضرت في ثنايا عدد من النماذج الشعرية المعاصرة، على غرار قصائد سعدية مفرح وعلي الدميني وقاسم حداد (سعد البازعي، 2004)، وفي هذه العودة إلى التراث ما يكفي من إشارات ثقافية ووعي بالامتداد في الماضي والرسوخ عبر الأسلاف.

اشتغل البازعي على المضمون وتحرّك في اتجاه صناعة الدلالة الجمالية التي تنبثق، لا من الصياغة البلاغية وإنشائية النصّ، وإنما من القيم الثقافية المستكنة في الوعي بقضايا الإنسان وهواجسه، وبكيفيات بلورة هذه الإشكالات في أفق المعرفة الإنسانية التي تقفز على الزمان والمكان، وهو ما حدا به إلى إيجاد أشكال تقارب، ولو افتراضية بين النصّ العربي في علاقته بنصوص عائلته الثقافية، وعلاقة النص الغربيّ بنصوص عائلته الثقافية من جهة أخرى، وفي ممكنات العلاقة الشعرية بين نصوص الضفتين الثقافيتين[1] (سعد البازعي، 2004).

2-تنوّع نظريّ وإجرائيّ وتقارب مفاهيميّ

يتوقف حسن البنا عزالدين عند حدود العملية النقدية في النقد الثقافي بالقول «...النقد الثقافي الذي يركز على اكتشاف ثقافة الشاعر تلك عبر قراءة الثقافة مباشرة وليس عبر قراءة الشعر نفسه، وهي قراءة مشروعة، دفعت بعبد الله الغذامي إلى اقتراح إضافة وظيفة سابعة إلى مخطط ياكوبسون الاتصالي وهي الوظيفة النسقية. ولكننا في هذه القراءة الأخيرة نكون قد بعدنا عن الشعر خطوتين لنرى تأثيره الإيجابي أو السلبي علينا عبر تحولات ثقافية أخرى، غير مسؤول عنها في الأساس أو بالضرورة ...» (حسن البنا عزالدين، 2003)، ليفتح قوسًا حول طبيعة أداء التحليل في هذه الاستراتيجية، ويكون بمثابة وجهة نظر تجاه تصنيف الغذامي لكتابه، وهو الذي وضع له مقدمة، ضمن النقد الثقافي (حسن البنا عزالدين، 2003).

حسب عبارة حسن البنا، فإن مجال مؤلَّفه هو دراسة الشعر في ذاته، وهو الأمر الحاصل فعلا، بينما مجال النقد الثقافي هو «اكتشاف ثقافة الشاعر عبر قراءة الثقافة مباشرة وليس عبر قراءة الشعر نفسه»، وهو اعتراض واضح، يعكس إشكالية مفهومية حول النقد الثقافي، بوصفه استراتيجية تحليل[2] (عمّار علي حسن، 2014)، والقراءة الثقافية بوصفها استراتيجية تحليل كذلك.

لا توجد توضيحات تفصيلية حول مؤشرات توجّه النقد الثقافي في كتاب «الشعرية والثقافة»، عدا ما يمكن استنتاجه من اشتغال على المكوّن الثقافي حول الوعي بفعل الكتابة وتجلياته في الشعر القديم، مما يجعل من طرح التساؤل: ما هي أركان عملية النقد الثقافي التي يتأسّس عليها الاعتبار التصنيفي ليكون ركيزة مشروعة في التأسيس النقديّ؟ خلاف هذا السؤال، يمكن طرح سؤال آخر، هو: هل كان الغذامي يضمر قناعة بديهية بأن النقد الثقافي أعمّ، وتندرج تحته الدراسات الثقافية؟

في شقّ السؤال الأوّل، يمكن طرح افتراضات واضحة، والتأسيس لنقاش علميّ، وإن بأحكام قابلة للنقض، لكن في الشق الثاني، لا يسع الباحث سوى العودة إلى الآراء النقدية، وهي على اختلاف، فضلا على أنها تبقى مجرّد تخمين واستقراء، في ظل غياب عبارة صريحة تشير إلى أن الغذامي يقدّر بأن النقد الثقافي تشكّلٌ يندرج تحت الدراسات الثقافية أو هو نفسها.

نظريًّا، يتيح لنا الغذامي آلية تأسيس مفهومية واضحة حول معالم النقد الثقافي، مدارُها فكرة النسق المضمر، ومجالها ذلك التعارض بين ظاهر جميل وباطن قبيحٍ، وعلى المستوى التطبيقيّ، يطالعنا في كتاب «النقد الثقافي» على أمثلة كثيرة للجميل البلاغيّ عند نزار قباني وأدونيس، وغيرهما، ثم يستبطن القبيح الثقافي في أشعارهما، مما يصوّر التعالي والبعد عما هو عمليّ وقيميّ إنسانيّ، فضلا عن التأسيس المرجعيّ الضخم نظريا، وهو المُستقى من الحديث النبويّ والقرآن الكريم ومن أعراف السلوك الإنسانيّ القويم.

1 ذكر البازعي استحضار الشاعر الإنجليزي وليم وردزورث لنهاية شاعرين آخرين في إحدى قصائده، حيث كانت خاتمتهما مفجعة، وفي معرض تماهي البازعي الثقافي مع التذاوت الشعري، أشار إلى أن وردزورث لو عرف طرفة بن العبد لضمه إلى "قائمة المأسوف عليهم من الشعراء المهيئين للانتهاء المأساويّ السريع".

2 الاستراتيجية هي علم وفن التخطيط وأصول القيادة ترمي إلى الاستخدام الأمثل لكافة الإمكانات والوسائل المتوفرة، وهي مصطلح ينحدر من الحياة العسكرية بالأساس، ويعني وضع الخطط الحربية قبل نشوب المعارك، ثم إدارتها أثناء جريانها، فالكلمة أصلا مأخوذة من الكلمة الإغريقية Strato وتعني الجيش أو الحشود العسكرية، ومن تلك الكلمة اشتقت اليونانية القديمة مصطلح Strategos وتعني فن إدارة وقيادة الحروب.

وتسلل المفهوم إلى مختلف العلوم والمجالات الحياتية ليعني وضع خطط مسبقة بعيدة المدى؛ لتحقيق هدف محدد أو حزمة من الأهداف في ضوء الإمكانات المتاحة أو التي يمكن الحصول عليها، ولذا وجدنا مصطلحات تبدأ من الاستراتيجيات الحربية والسياسية إلى استراتيجيات التسويق مرورا بالاستراتيجيات الاجتماعية والثقافية والمعرفية والاقتصادية والأمنية".

إذا كان اعتبار الغذامي لأساس النقد الثقافي قائما في إحدى أهم ركائزه على فكرة النسق المضمر واشتراط التناقض بين ظاهر جميل وباطن قبيح في القول الشعريّ، فإن حسن البنا يكون في صميم العملية النقدية و الفكرية حين رفض التصنيف، ذلك أن كتاب «الشعرية والثقافة» لا يتأسّس على هذه اللبنة النقدية، بل يقيم لبنة مختلفة تماما في ذلك، حيث يعتمد على استنطاق الظاهر والمضمر في أشعار العرب القديمة، لإثبات وجود وعيٍ بسيط، أو مكوّن بدائيّ لحقه تطوّر حول مفهوم الكتابة، بغاية إبراز عمق الوعي بالثقافة، بوصف فعل الكتابة أبرز علاماته.

يهتم كتاب «الشعرية والثقافة» بتوثيق صِلات الباطن بالظاهر، ولا يبحث في علاقة الجميل بالقبيح مطلقا، لذلك يمكن اعتباره مرافعة ثقافية لإثبات الوجود الحضاريّ والمعرفيّ للعرب أمام الأمم الأخرى التي تقدّمت أشواطا في صناعة الكتابة وبلورة المعرفة المحفورة بأثرٍ، ولعلّ الحرص على هذا الاستنطاق المُنافح، هو الذي دفع بالمؤلّف إلى استقطاب مفاهيم ونظريات متفاوتة، للتأسيس للمعرفة عند العرب، حتى كان من مرجعياته النظرية، عصارة الدراسات الشعرية عند فطاحلة الدارسين مثل رومان ياكوبسون Roman Jacobson وتزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov، ودراسات أخرى تمتدّ إلى تخوم الفلسفة، على غرار النظرية التفكيكية عند جاك دريدا J.Derrida.

حفريات حسن البنا عزالدين في الشعر العربيّ، امتدت في الزمان إلى فترة قديمة، تصل إلى الجاهلية، وفي الأثر، إلى أدقّ وأعمق الأمثلة التي تحمل مؤشرات العناية بفعل الكتابة عند العرب، لذلك، لا يكون من المجازفة القول بأن ميشيل فوكو Michel Foucault كان الخلفية المعرفية الأكبر، الواقفة وراء هذا الكتاب الضخم، الذي تجاوز الثلاث مئة صفحة.

ويأتي ضمن الملاحظات المهمّة حول البنية المفهومية للعملية النقدية عند حسن البنا، الغياب التام للتأويل عند تناول النماذج الشعرية، حيث يكرّس الناقد جهده لتعميق دلالة الظاهر على الباطن، في مسعى خدمة الغاية العامة للكتاب، وهي تأكيد تمثّلُ قيم الكتابة.

توقّف نصيب العملية التأويلية عن الناقد في الجزء النظريّ، وكان بوجه خاص في شكل فلسفيّ، خاصّة حين توقف عند مفهوم الأثر في النظرية التفكيكية، وكمثال على رفع سقف التأويل، التفصيل في نقطة أسبقية الكتابة على الكلام (حسن البنا عزالدين، 2003)، التي أعطاها أبعادا منطقية، حين أشار إلى أنها افتراضية تصوّرية وليست ترتيبية تاريخية.

3–جدل الشّمول... من يندرج تحت مظلة الآخر؟

يعرّف التحليل الثقافيّ في سياق التداول العام على أنه مقاربة في المكوّنات الثقافية للنص الأدبيّ، تتبّعا للامتداد في التاريخ ورصدا للتقاطع في الحاضر، وتفكيكا للمرجعيات الإبداعية مضمونا وشكلا، وسبرا للخلفية الفكرية... إنه عملية استنطاقٍ على جبهتين؛ جبهة هي في يد الناقد، فالنقد ذاته يغدو ممارسة ثقافية، وجبهة في يد المبدع، يستبهم نصوصه على أسسها، فيكون على قارئه الثقافيّ إعادة اكتشاف تضاريسها وأسسها، وتسليط الضوء على عتماتها، طالما أنه لا يمكن نزع النظارات لرؤية العالَم متجرّدا من الثقافة (عبد الرحمن محمد طعمة، 2021).

يُقصد بالتحليل الثقافي وفق هذا المنظور الشائع، فعل العملية النقدية في حدّ ذاته، فهو المقاربة متعدّدة المنطلقات، التي تستعين بكل الأدوات التي يراها الناقد مفيدة في استنطاق النص، لذلك، تكون القراءة مبنية على تجنيد القدرات والأدوات المختلفة دون قيود تحدّد الفعل النقدي، مما يعني بأن الناقد ليس بصدد منهج صارم، وإنما أمام «استراتيجية»، شرطها هو مناسبة أدواته للموضوع ... إننا بصدد الحديث عن المهارة في إدارة المعركة مع النصّ.

لكن، من الناحية المنهجية، يوجد تصنيف وتأسيس نقديّ مختلف للمصطلح الشائع «التحليل الثقافي»، يشتهر أيضا بمصطلح «التاريخانية الجديدة»، وهو اتجاه بارز ظهر أواخر السبعينيات، وتجتمع فيه عناصر «هيمنت على اتجاهات نقدية أخرى مثل الماركسية والتقويض، إضافة إلى ما توصّلت إليه أبحاث الأنثروبولوجيا الثقافية وغيرها» (ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2000)، وتسعى التاريخانية الجديدة إلى قراءة النصوص الأدبية في إطارها التاريخيّ والثقافيّ من خلال عبور الحدود بين التاريخ والأنثروبولوجيا والفن والسياسة والأدب والاقتصاد، وهذا ما يجعل هذه المقاربة تلتقي مع حقل الدراسات الثقافية» (عمر شهي، 2022).

إذا كان هذا مفهوم التحليل الثقافي، فما هو مفهوم الدراسات الثقافية؟ وما موقع النقد الثقافيّ منهما؟

تعدّ الدراسات الثقافية التي ظهرت خلال ستينيات القرن

العشرين[1] (عبد الله الغذامي، 2001)، المجال المعرفي النظريّ الذي انعكست فيه الممارسات النقدية المتراكمة والمختلفة، «مثل البنيوية، وما بعد البنيوية والنقد النسائي، والتحليل النفسي، ودراسات الجنوسة (الذكورة والأنوثة)، وما إلى ذلك» (ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2000)، وهي تستكنِهُ الامتدادات الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية داخل النص، وقد تبنّت «دور مساءلة العلوم المنتمية إلى الحقل الاجتماعي وعلوم الإنسان، واستجوبت ممارسات النقد الأدبي التقليدية وممارسات النظرية الجمالية» (ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2000)، لذلك فهي إفراز للنظرية البنيوية وما بعدها، غايتها أداء دور في الحياة العامة (ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2000).

تعنى الدراسات الثقافية برصد أشكال التأثير، وهي وثيقة الصلة بمخرجات دراسات الاستشراق التي تناولت الخطاب الكولونيالي (يوسف عليمات، 2015)، لذلك تسعى إلى تسليط الضوء على علاقات القوّة والهيمنة والمقاومة في المجتمع، ببحث كيفية تشكّل المعاني الثقافية وتوزيعها، وهي تُعنى بالممارسات الإمبريالية وتمتد لتمسّ المظاهر الدالة على اختلافها، من رموز وخطابات وممارسات، أي تشمل الأثر الثقافي جميعا، وهو ما يميّزها بوصفها استراتيجية لها مرجعية (عدلان رويدي، 2019)، وهي تزيد عن النقد الثقافي في أخذ الإيديولوجيا بعين الاعتبار ضمن مجالات تسليط الضوء في قراءاتها.

أما النقد الثقافيّ، فهو توجّه في الدراسة، ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية مع فينسنت ليتش vincent b.Leach في تسعينيات القرن الماضي، وإن كانت له إرهاصات من قبل، ويهتم بتناول الثقافة في عمومها، ومنها الثقافة المنتَجة نصّا، ويهدف إلى كشف مرجعيات الخطاب وقاعدة بياناته المفاهيمية (الأنساق المضمرة) بهدف كشف التناقضات المخفية بالمخاتلة البلاغية، وهو في المحصّلة «من إفرازات الدراسات الثقافية نفسها» (عدلان رويدي، 2019)، ونتائج دراسات التحليل الثقافي/ التاريخانية الجديدة (عمر شهبي، 2022).

تبرز الدراسات الثقافية بوصفها منظومة مفاهيمية متعدّدة المرجعيات (عمر شهبي، 2022)، تستجدي خلاصات أبحاث تخصّصات مختلفة، من سياسة وعلم اجتماع وأنثروبولوجيا وفلسفة، وغيرها، وتتجه إلى دراسة مجالات غير الأدب كالموسيقى والأزياء، وتتم إنجازًا في شكل نقد، كما تتم في شكل دراسات وأبحاث متابعة ميدانية، على غرار دراسة السلوك وأنظمة المجتمع (التحليل الثقافي، 2009)، وهو اتّساع لا يكون في النقد الثقافي.

4–تمثّلات الاستراتيجية في المقاربة الثقافية:

تباينت مقاربات الكتب الثلاثة «النقد الثقافي»، «الشعرية والثقافة»، و«أبواب القصيدة» في قراءة الشعر من منطلق ثقافيّ تباينا واضحًا، حيث استند كلّ كتاب إلى قضية جعل منها هدف التحليل فيه، لذلك تنوّعت زوايا الرؤية وأدوات التحليل، ومن ثمة نتائج القراءة، على أنها جميعا، تجاوزت البحث في الجماليات البلاغية للقصائد أو تفسير معانيها، وانغمست في بحث الدلالة الثقافية التي جعلتها غاية القراءة.

اشتغل كتاب «النقد الثقافي» على التأسيس النظريّ والتمثّل التطبيقيّ للنقد الثقافي وفق طرح المدرسة الأمريكية خاصة، وجعل من عنصر النسق المضمر آلية لاستنطاق القصائد، لذلك كان الحفر في تركيبة الدلالة أركيولوجيًّا، عاد إلى مهاد إشاراتها المؤسِّسة للفعل، البانية للسلوك، لغرض فضح الخفيّ القبيح.

استعان الغذامي في تفكيك الدلالة القبيحة بمعارف التاريخ وشواهد القرآن الكريم والحديث النبويّ، وتفسيرات البلاغة وقضايا النضال الإنسانيّ، كما تمثّل قيم الديمقراطية مبدأً، وفق ما دعا إليه الناقد ويليامز Williams (عدلان رويدي، 2019)، بما يعكس البُعد الإيديولوجي، ومن ناحية مناهج التحليل، استعان الغذامي بالتأويلية في التأسيس لفكرة تضليل الجميل البلاغيّ، حيث استنطق عبر القراءة التاريخانية الجديدة قصة «غنية» الفقيرة، التي أوردها الجاحظ في «البيان والتبيين»، ثمّ فكّك سيميائية ما حول النص من ملابسات، وما ينتج عنها من أبعاد، ليتأوّل بها بنية القبيح في حلية البلاغة بعد ذلك[2](عبد الله الغذامي2001).

استعان الغذامي بدراسات الإعلام حين توقف عند فكرة الجمهور وصناعة الذوق، كما استلهم الأفكار الثيوصوفية (مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي، 2015) عبر تفكيك سيميائية دور الثقافة في قتل الفحل، في قصة طرفة بن

1 بدأت الدراسات الثقافية عام 1964 مع مجموعة بيرمنجهام تحت مسمى Birmingham center for contemporary cultural studies.

2 يتعرّض ابن غنية في أخبار الجاحظ إلى الضرب بسبب انشغاله بالناس، وفي كل مرة يُضرب، يفقد شيئا في جسمه، فيقطع أنفه، ثم أذنه، ثم شفته، وتحصل أمه كل مرة على دية، إلى أن تصبح غنية الفقيرة غنية فعلا، ومؤشّر القصة النظري عند الغذامي هو أن الأعضاء المقطوعة هي أدوات الحلية البلاغية، وبفقدها تغنى الأم.

العبد، الذي حمل موته بين يديه وسار إلى حتفه مع رفيقه عبد المسيح بن جرير (المتلمس)، حيث أمر بقتلهما، ليتحقّق وعيد المتلمّس: «ويل لهذا من هذا» لطرفة[1]** (عبد الله الغذامي، 2001).

ولم يكن نصيب الاستراتيجية في كتاب «الشعرية والثقافة» أقلّ قدرا، حيث اشتغل حسن البنا عزالدين على قدر من المرجعيات والأسس النظرية، التي خصّص لها نصيبًا من الكتاب، تبسيطا وتمهيدًا للشقّ التطبيقيّ، فعاد إلى شعرية ياكوبسون وتودوروف، وتفكيكية جاك ديريدا، ونظرية التقاليد الشفاهية عند باري، كما استعان بقضايا الصوت والحرف والكتابة في الثقافة العربية وجدل الشعر والجنون، واستفاض من تاريخ الأدب، فنقل أخبار وقصص بعض الأشعار[2]*** (حسن البنا عزالدين، 2003)، لكن بقدر أقلّ من التأويل وكثير من التقييد، دون أن تفوته الإشارة إلى قول هايديغر بأن «الهدف من التفسير النصّي ليس نوايا المؤلّف ولكن النص نفسه» (حسن البنا عزالدين، 2003).

لا يكاد يظهر أثر حفرٍ معرفيّ بالمعنى العميق في كتاب «الشعرية والثقافة»، لأن حسن البنا، كان كمن ينفض الغبار عن الأثر بمفهومه الدريدي، ليعيد بعث الموجود سلفًا إلى البصر، لذلك رجع إلى الشواهد الشعرية التي أشارت أو صرّحت بفعل الكتابة والقراءة، أو توحي بذلك، سواء كإرهاصات قبل أن يكون للتدوين ورسم الحرف حضور واضحٌ، أو بعد أن تثقّفت السلوكات وأصبح رسم الحرف وخطّ المعنى في عبارات بصرية صريحة ومقصودة بالإشارة أمرًا قائما في أوساط الشعراء، وقد استعان بالأساليب البلاغية الجاهزة لإبراز جلالة الكتابة والوعي بمكانتها من خلال تصوير مشاهد جماليتها في القصائد، أو من خلال شعرنة فعلها وإيحائها في مثل الكتابة على الطلل وتحت عناصر السماء، أو كفعل قراءة الجسد والخمر والسيف والقلم (حسن البنا عزالدين2003 الفصل الأول والثاني).

أما كتاب «أبواب القصيدة»، فكان أكثر وضوحا في اعتماد مبدأ الاستراتيجية في تحليل شواهد الأشعار، فهو تخلّى أولا عن اعتماد التهميش بالطريقة الأكاديمية، واكتفى بلمحة حول المرجعيات النقدية ضمن المتن، واستهدف في الدرجة الثانية مخالفة السائد في قراءة الشعر، حيث بحث فيما هو غير مألوف بالتداول على أنه جماليّ، وقصد البحث في جمالية غير الجمالي (سعد البازعي، 2004)، بناء على مقاربات، يغلب عليها تفكيك أبعاد الدلالة الفكرية.

وانتقل البازعي بين محطّات تاريخية متنوّعة، حرص فيها على التماس التقاطعات الشعرية فوق شرط الزمان والمكان، في عمق المعنى الإنساني المشترك، فضلا عن تثاقف، تفرّد به عن سابقيه؛ الغذامي وحسن البنا، يقوم على إيجاد تقاطعات دلالية واجتماعية عند الآخر المختلف في تركيبته وتكوينه الفني والفكري، ألا وهو الشاعر الغربيّ.

كانت مقاربة سعد البازعي استراتيجية قريبة من القراءة الانطباعية بمفهومها الذاتي[3]*، لكنها امتازت بتسخير رصيد المعرفة التاريخية والثقافية والمنهجية التي استعملها بطريقة انتقائية عفوية، وكان من أبرز الأسس التي قام عليها كتابه، مخرجات النقد المقارن، حيث قارن نصّ الشاعر بالآخر ونصّ عصر بآخر، بل قارن بين نصّ الشرق ونصّ الغرب (الزبير عبد الله الأنصاري، 2024).

خاتمة

تقوم القراءة الثقافية للشعر على أساس الرؤية الاستراتيجية، التي قد يستدعيها النصّ لنظام تركيبته، أو للحاجات الإجرائية التي تستدعيها أهداف الدارس، حيث يختار من بين الأدوات والمناهج ما يفتح له الطريق نحو مشروعه النقدي، على أنه يحتاج إلى رزمة أدوات متنوّعة، هي جاهزة سلفًا ضمن مفاهيم وأسس المنتج الذي تمخّضت عنه.

يمكن من خلال قراءة الكتب الثلاثة، الخروج بالنتائج التالية:

- يحتاج الناقد إلى خبرة ومهارة استعمال الأدوات والمناهج لأجل قراءة أكثر إنتاجية في النصوص.

- عندما يحدّد الدارس أهدافًا سابقة أو ينطلق من تصوّر واضح ويرغب في الوصول إلى نتائج، يكون قد حدسها حسّه النقديّ لطبيعة معرفته وعمق اطلاعه في الموضوع، أو لوجود

1 سخر طرفة من بيت شعر قاله المتلمس أمام الناس، فقال له "ويل لهذا من هذا"، يقصد "ويل لرأسك من لسانك"، وفعلا، مرت الأيام وهو صاحب لسان هجّاء، هجا الملك عمرو بن هند ثم قصده مادحا طمعا في عطائه، فسلّمه كتابا ليحصل على أجره عند عامله في البحرين، فقصده وهو لا يعلم بأن الكتاب يتضمن أمرا بقتله، حتى لقي مصرعه هناك عندما وصل.

2 على سبيل المثال، نقل قصة حكاها الأصمعي، حيث مرّ بحجر مكتوب فيه بيت من الشعر لعاشق يطلب النصيحة، فردّ بيتا آخر تحته، يحثه على كتمان حبه، وبعد يوم فوجد رد الفتى العاشق ببيت من الشعر، يشكوه استحالة الكتمان، فيرد عليه مرة ثانية بالشعر ليقول له بأن الموت خير للعاجز عن كتمان سرّ الحب، فيجد الفتى في اليوم المولي ميتا تحت الحجر وقد كتب بيتا شعر آخر، يقول فيه بأنه سمع وأطاع يعاتب مانع الوصل فيه.

3 الانطباع بمفهومه العام، وليس الانطباعية، المدرسة التي اشتهرت في فرنسا، كبدايات للنقد

التوجّه سلفا عند دارين آخرين، فإنه يستند إلى أدوات ومناهج ونظريات يعرف قدرتها على تقديم النتائج التي يجعلها نصب عينيه، كما حصل في «النقد الثقافي»، حيث انتقى الغذامي من التراث ما يتطابق مع مشروعه في النقد الثقافي، وهو المشروع المؤسّس سلفًا في محضن تكوينه النقدي بأمريكا وفي مدارس نقدية أخرى من العالم الغربيّ.

- يجد ناقد الدراسات الثقافية الأدوات والمناهج والنظريات الجاهزة، التي تعينه على تفصيل مسألة أو مسائل تحتاج إلى تصنيف أو إضاءة منهجية لأفكارها، كما هو في كتاب «الشعرية والثقافة»، بما يزكّي الافتراض البحثيّ بأن المنهج يتأسّس على الممارسة الواعية، وليس مجرّد المصادفة في إصابة الطرح.

- يملك الدارس حرية أوسع وهو يتخذ من القراءة الثقافة أساسا في تناول الشعر، ويتيح له ذلك التفكير خارج القيود الصارمة وإكراهات المنهج، مع القدرة على مخاطبة شرائح أكبر في المجتمع، قد لا يكون تفكيك البلاغيّ في مستوى استيعابها أو محطّ اهتمامها.

- تشير قراءات الكتب الثلاثة إلى أن الدراسات الثقافية تتمثل بدقّة كسر قيود المنهج الصارم وتكرّس التحرّر من اشتراطاته التي كثيرا ما تكون محلّ التساؤل: هل يناسب ذلك المنهج هذا النص؟

- تهدف الدراسات الثقافية إلى إلمام واسع بجوانب النصّ، وهي تنوّر الجماهير وتحقّق وعيًا اجتماعيا بقضايا الصراع ومرجعيات الفهوم.

المراجع

1. الزبير عبد الله الأنصاري 2024، الأدب المقارن بين خصوصيات الثقافة وشمولية التجربة الإنسانية، سعد البازعي أنموذجا، مركز الخليج للأبحاث.
2. حسن البنا عزالدين 2003، الشعرية والثقافة، المركز الثقافي العربي، لبنان.
3. حسين القاصد 2021، النقد الثقافي رؤية جديدة، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق.
4. سعد البازعي 2004، أبواب القصيدة، المركز الثقافي العربي، لبنان.
5. عبد الرحمن محمد طعمة 1442هـ 2021م، تحليل الخطاب الثقافي من الفكرة الذهنية إلى الرؤية الكونية، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر.
6. عبد الله الغذامي 2001، النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي.
7. عدلان رويدي 2019، مدرسة بيرمنجهام والتأصيل للدراسات الثقافية، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر، بسكرة، المجلد 12، العدد الخامس والعشرون، بسكرة.
8. عمّار علي حسن، 2014م 1435هـ، مصطلح الاستراتيجية وعلومها في الجغرافيا والثقافة والإيديولوجيا، مجلة التفاهم، العدد 44، سلطنة عُمان.
9. عمر شهي، 2022، نقد الأنساق الثقافية، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن.
10. مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي، 1436هـ - 2015م، الثيوصوفيا، دراسة لقضايا الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية.
11. ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2000، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، لبنان.
12. هندومة محمد أنور، 2009، النظرية النقدية عند يورجن هابرماس التحليل الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
13. يوسف عليمات، 2015، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.

Paradoxes of Cultural Analysis of Poetry A reading of the books “Cultural Criticism”, “Poetics and Culture”, and “The Gates of the Poem”

Abstract

This study examines the challenges associated with the application of cultural studies in their broadest sense, particularly as an inquiry into the structural composition of cultural texts. It investigates the modes of representation of theoretical concepts and seeks to delineate the shared intellectual foundations of cultural criticism, understood as a semantic and conceptual approach—even within aesthetic texts. Within this framework, three seminal critical works are analyzed: Cultural Criticism, Poetics and Culture, and The Gates of the Poem. The research aims to elucidate the underlying principles of the critical process and its objectives in each text, considering the specific analytical tools and theoretical references employed. This study aspires to identify the cultural commonalities among the three works, given their shared grounding in cultural analysis. Furthermore, it seeks to highlight the inherent paradoxes of critical practice, demonstrating the diversity of interpretative methodologies shaped by the distinct intellectual traditions and analytical frameworks of each work. By doing so, the research underscores the unique epistemological orientations that define each study, which is essential for mitigating redundancy and illuminating overlooked or marginalized critical concerns. The study posits that the concept of strategy provides a compelling justification for the significant methodological divergences among poetry criticism approaches. Unlike studies that adhere to rigid procedural frameworks, critics operate within a more flexible intellectual space, allowing for varied analytical engagements. Consequently, this research maximally leverages this notion, arguing that the richness of theoretical references across the selected works substantiates this perspective.

Keywords
Cultural analysis
cultural studies
cultural criticism
implicit structure
poetry

Paradoxes de l'analyse culturelle de la poésie Une lecture des ouvrages «La critique culturelle», «Poétique et culture» et «Les Portes du poème»

Résumé

Cette étude tente d'appréhender les problématiques des applications des études à caractère culturel dans leur conception générale, en tant qu'exploration de la structure du texte culturel, cherchant à éclairer les modes de représentation des concepts théoriques et à identifier les espaces communs dans l'acte critique culturel. Celui-ci est considéré comme une approche sémantique et conceptuelle, y compris dans le texte esthétique. Sur cette base, trois ouvrages critiques bien connus ont été examinés : le premier est La Critique Culturelle, le deuxième Poétique et Culture, et le troisième Les Portes du Poème. L'analyse a visé à explorer l'essence et les objectifs de la démarche critique dans chacun de ces livres, en s'appuyant sur les outils et les références propres à chacun. Cette recherche aspire à dégager le socle culturel commun aux trois études, qui partagent un même point de départ centré sur l'approche culturelle. Par ailleurs, elle met en lumière les paradoxes de l'acte critique, en tant que diversité des modes de réception, fondée sur la pluralité des références et des bases théoriques de chaque ouvrage, ainsi que sur la spécificité de son objectif scientifique, qui constitue une identité de recherche nécessaire pour éviter la redondance et mettre en avant les questions marginalisées ou occultées. Cette étude trouve dans le terme «stratégie» une justification au large fossé qui sépare la méthode de chaque ouvrage dans la critique de la poésie. En effet, les critiques ne sont pas tenus de se conformer à des normes strictes, comme celles des études basées sur des méthodologies possédant des outils explicites et incontournables. Ainsi, cette recherche exploite pleinement cette donnée et voit dans la richesse des références des échantillons étudiés une confirmation de cette diversité.

Mots clés
analyse culturelle
études culturelles
critique culturelle
structure implicite
poésie

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023